المعالجة المنهجية للنص القرآني عند المفسرين

The systematic treatment of the Qur'anic text by the commentators

م.م. أحمد عبيد إبراهيم نجم اللهيبي
ديوان الوقف السني/ دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة منهجية لعلم التفسير، بوصفه من أهم العلوم الشرعية المرتبطة بفهم القرآن الكريم واستنباط معانيه ودلالاته، من خلال بيان مفهوم المنهج والتفسير لغةً واصطلاحًا، وبيان مبادئ علم التفسير ومؤهلات المفسر، مع تسليط الضوء على أبرز مناهج تفسير القرآن الكريم وقواعده المعتمدة عند العلماء. وينطلق البحث من التأكيد على أن التفسير ليس عملاً اجتهاديًا مجردًا، بل علمٌ تحكمه ضوابط دقيقة وقواعد راسخة، تستند إلى اللغة العربية وعلوم القرآن والسنة النبوية وسياق النزول. كما يبرز البحث أهمية تعدد المناهج التفسيرية، كالتفسير بالقرآن والتفسير البياني، ودورها في توجيه المعنى القرآني توجيهًا صحيحًا، يراعي مقاصد الشريعة ويحقق الفهم السليم للنص. ويخلص البحث إلى أن الالتزام بالمنهج العلمي في التفسير يسهم في حفظ النص القرآني من الانحراف في الفهم والتأويل، ويؤكد ضرورة إعداد المفسر إعدادًا علميًا متكاملًا يجمع بين المعرفة اللغوية والشرعية والوعي بالسياق التاريخي للنص.

الكلمات المفتاحية :علم التفسير – المنهج التفسيري – مناهج تفسير القرآن – قواعد التفسير – مؤهلات المفسر – التفسير البياني – علوم القرآن.

Abstract

This research presents a systematic study of the **Science of Exegesis (*Tafsir*)**, regarded as one of the most vital Sharia sciences for understanding the Holy Quran and deriving its meanings and indications. The study explores the linguistic and technical concepts of both "Methodology" and "Exegesis," outlining the fundamental principles of *Tafsir* and the necessary qualifications of an exegete (*Mufassir*), while highlighting the most prominent interpretative methodologies and established rules adoptd by scholars.

The research proceeds from the premise that exegesis is not merely an act of abstract reasoning (*Ijtihad*); rather, it is a science governed by precise regulations and firm rules rooted in the Arabic language, Quranic sciences, Prophetic Sunnah, and the context of revelation (*Asbab al-Nuzul*). Furthermore, the study emphasizes the importance

of diverse interpretative approaches—such as **Intra-Quranic Exegesis** (*Tafsir al-Quran bi al-Quran*) and **Rhetorical Exegesis** (*Al-Tafsir al-Bayani*)—and their role in accurately directing Quranic meanings in a way that respects the objectives of Sharia (*Maqasid al-Shariah*) and ensures a sound understanding of the text.

The research concludes that adhering to a scientific methodology in exegesis contributes to safeguarding the Quranic text from misinterpretation and deviation. It also underscores the necessity of a comprehensive academic preparation for the exegete, integrating linguistic and religious knowledge with an awareness of the historical context of the text.

Keywords: Science of Exegesis (Tafsir), Interpretative Methodology, Quranic Exegesis Methods, Rules of Exegesis, Qualifications of the Exegete, Rhetorical Exegesis (Al-Tafsir al-Bayani), Quranic Sciences.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون هاديًا للعالمين ونذيرًا لهم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله، الذي بعثه الله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا. لقد مرت الإنسانية بفترة طويلة وهي تعيش في متاهات الضلال، تتخبط في أوهام شتى، وتعاني اضطرابًا واسعًا في القيم والأخلاق وتنازعًا في الأهواء، حتى شاء الله برحمته أن يرفع عنها هذا العناء، فأنزل وحيه من السماء، وبعث رسولًا اصطفاه واصطنعه على عينه، وائتمنه على رسالته، فجاءه بالنور والهداية، كما يشرق القمر في ليلٍ حالكٍ على مسافر أنهكته الظلمة وفقد الطريق.

وما إن تلي القرآن الكريم على مسامع القوم حتى نفذ إلى أعماق قلوبهم، واستولى على عقولهم ومشاعرهم، فلم يعرض عنه إلا قلة ممن حالت أقفال القلوب بينهم وبينه. وسرعان ما دخل الناس في دين الله أفواجًا، وارتفعت راية الإسلام عالية فوق مواطن الكفر، وشُيِّد صرح الحق راسخًا على أنقاض الباطل. وقد وجد المسلمون في هذا الكتاب الكريم سبيل سعادتهم، إذ جعله الله هدىً ونورًا، وشفاءً لما في الصدور، فآمنوا بصدق الرسول، وأيقنوا أن من أعرض عنه قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله. فهو حبل الله

المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم؛ لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تنفد معانيه لكثرة الترداد، ولا تنقضي عجائبه على مرّ العصور.

وانطلاقًا من هذه المكانة العظيمة للقرآن الكريم، تناولت هذه الدراسة مناهج المفسرين في بيان معاني كتاب الله تعالى، وألوان التفسير المعتمدة لديهم، وما ينبغي أن يتحلى به المفسر من مؤهلات علمية ومنهجية عند محاولة فهم النص القرآني أو التصدي لكتابته تفسيرًا، فضلًا عن جملة من القضايا المتصلة بهذا المجال

- **مشكلة البحث** :يكمن جوهر مشكلة البحث في الحاجة إلى فهم القرآن الكريم وفق منهج علمي واضح ودقيق، يضمن تفسير معانيه واستنباط أحكامه بطريقة صحيحة، بعيدًا عن التفسير العشوائي أو الاجتهاد الفردي الذي قد يؤدي إلى تحريف المراد الإلهي. فمع كثرة التفاسير واختلاف مناهج المفسرين على مر العصور، أصبح من الضروري دراسة مبادئ التفسير ومناهجه وقواعده، وتوضيح شروط ومؤهلات المفسر، لضمان استنباط المعاني الصحيحة للقرآن الكريم بما يتوافق مع اللغة العربية وأصول الشريعة وأقوال السلف الصالح.
- **سوال البحث:** كيف تُسهم دراسة مبادئ علم التفسير ومناهج المفسرين في فهم القرآن الكريم بشكل صحيح، مع الالتزام بشروط ومؤهلات المفسر، وضمان استنباط الأحكام الشرعية وفق اللغة العربية وأصول الشريعة؟
- **أهمية البحث:** تتجلى أهمية البحث في النقاط التالية:

١. تعزيز الفهم القرآني الصحيح: يوضح البحث كيفية دراسة القرآن الكريم بأسلوب منهجي يمكّن الدارسين من إدراك المعاني والمقاصد الإلهية بدقة.
٢. تسليط الضوء على تراث التفسير: يبيّن البحث الموروث التفسيري على اختلاف مذاهبه وألوانه، ويحث على دراسة كتب طوائف متعددة دون الاقتصار على طائفة واحدة.
٣. توجيه المفسر المعاصر: يقدم البحث الإرشادات الضرورية للمفسر حول شروط ومؤهلات المفسر، والعلاقة بين علم التفسير والعلوم الشرعية الأخرى، مما يرفع مستوى التفسير المعاصر.

٤. ربط النظرية بالتطبيق: من خلال دراسة مناهج التفسير وقواعدها، يساهم البحث في تطوير أدوات تحليلية لتفسير القرآن الكريم بطريقة علمية، متسقة مع روح النص ولغته.

❖ **أهداف البحث:**

١. تحديد مفهوم المنهج والتفسير من الناحية اللغوية والاصطلاحية، وفهم العلاقة بينهما في دراسة القرآن الكريم.
٢. بيان مبادئ علم التفسير وأهميته، وشرح نشأته واستمداده من النص القرآني وسنة النبي ﷺ.
٣. توضيح مؤهلات المفسر وشروطه، مع التركيز على المعرفة اللغوية والشرعية والقدرة على استنباط المعاني الصحيحة.
٤. تحليل مناهج التفسير وقواعدها، مع إبراز أبرز الأساليب مثل تفسير القرآن بالقرآن والتفسير البياني، وفوائد كل منهج في فهم النص.
٥. تقديم توصيات عملية للباحثين والمفسرين المعاصرين، لتعزيز الدقة العلمية والالتزام بمنهجية متكاملة عند تفسير القرآن الكريم.

❖ **المطلب الأول : المنهج لغة واصطلاحا**

- أولا : المنهج لغة: جاء في لسان العرب": "طريق" نهج بيّن واضح، ومنهج الطريق: وَضَحُه، والمنهاج كالمنهج، وفي التنزيا [١]كما في قوله تعالى (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [٢] (المائدة (٤٨) [٣] . استناداً على ما سبق من معان لغوية لمعنى (نهج) في المعاجم يستخدم العلماء المعاصرون مصطلح المنهج، فقد عرفه بعضهم بأنه: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل، وتُحدّد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة" .[٤]

---

[١] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين (ت) (٧١١هـ) ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ،/٨٣٨

[٢] المائدة: ٤٨ .

[٣] لسان العرب، م.ن، ٨/٣٨٣.

[٤] بدوي، عبد الرحمن مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٣، ١٩٧٧ ، ص ٦٣.

- **ثانياً: المنهج اصطلاحي** :بعد البحث حول معنى المنهج في كتب العلماء والمفسرين اتضح هناك أكثر من تعريف اخترت اكثر التعريفات المتطابقة مع موضوع بحثي؛ إذا عرف المنهج بأنه: "مجموعة المعلومات والحقائق والمفاهيم والأفكار التي يعلمها المربي لتلاميذه، وقيل: هي كلمة إغريقية الأصل تعني الطريقة التي ينتهجها الفرد حتى يصل لهدف معين، وتعدد تتعريفات المنهج من الناحية الاصطلاحية حيث يتم التركيز على وصف المحتوى ولعل هذا التصور متأثر بمفهوم التربية اليونانية القديمة ، حين ساد الاعتقاد بأن المعرفة تؤدي إلى تغيير السلوك، ويمكن تعريف المنهج بناءً عليه [1]وكذلك يعرف المنهج بأنه: "مجموعة المواد اللازمة للتأهيل في مجال تعليمي معين، مثل: منهج الرياضيات، ومنهج اللغات، ومنهج التربية الاجتماعية، ومنهج العلوم وغيرها "[2]وعرفه آخرون بأنه: (الطرق الواضحة التي يسلكها الدارسون في دراستهم [3]، ومن التعريفات أيضًا: أنه التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن حقيقة مجهولة لدينا، أو من أجل البرهنة على حقيقة لا يعرفها الآخرون) [4]

❖ **المطلب الثاني: التفسير لغة واصطلاحا:**

- **أولا: التفسير لغةً:** يراد بـ الفَسْر في اللغة البيانُ والإيضاح، فيُقال: فَسَرَ الشيءَ يَفْسِرُه بالكسر، وفَسَّرَه بالضم، أي أوضحه وكشف معناه بعد خفائه، ومنه اشتُقَّ لفظ التفسير الذي يدل على الإبانة والبيان. وقد نقل ابن الأعرابي أن التفسير والتأويل والمعنى تدور في أصلها على معنى واحد، وإن اختلفت استعمالاتها عند العلماء. ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾، أي أحسن بيانًا وإيضاحًا. كما يدل الفَسْر على كشف المغطّى وإزالة الستر، ومن هذا الأصل اللغوي نشأ الاصطلاح، فصار التفسير هو كشف المراد من اللفظ المشكل وبيان دلالته، في حين يُقصد بـ التأويل توجيه أحد

---

[1] حميدة، إمام مختار، أسس بناء تنظيمات المناهج، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى. ٢٠٠٠، ص ١٠٣.

[2] السامرائي، هاشم، المناهج أسسها وتطويرها ونظرياتها، دار الأمل، الطبعة الثانية. ٢٠٠٠ ، ص ٥٤.

[3] يعقوب، أميل، كيف تكتب بحثا او منهجية البحث، جروس برس، ط ١، ١٩٨٦، ص ١٠٢.

[4] السامرائي، هاشم، المناهج أسسها وتطويرها ونظرياتها، دار الأمل ، الطبعة الثانية. ٢٠٠٠ ، ص ٦١.

المعاني المحتملة إلى المعنى الذي يوافق ظاهر اللفظ والسياق. ويقال: استفسرته الأمر، أي طلبت منه أن يوضحه ويبينه لي.

ومن الاستعمالات الحسية للفظ الفَسْر ما يقال عن نظر الطبيب إلى البول لمعرفة المرض، ويُسمّى ذلك التفسِرة، وقد ذكر الجوهري أن هذا اللفظ يُحتمل أن يكون مولَّدًا. وقيل: إن التفسِرة هي البول الذي يستدل به الأطباء على المرض، فينظرون إلى لونه وصفاته لمعرفة علة المريض. ثم توسّع المعنى فأُطلق على كل ما يُستدل به على تفسير الشيء ومعرفة معناه، فيُسمّى تفسِرته "[1] عرف الإمام الزركشي في كتابه البرهان علم التفسير بقوله: علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية. ويعرفه صديق بن حسين الفنوجي في كتابه أبجد العلوم بأنه علم باحث عن معني نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية وبحسب ما تقتضيه اللغة العربية. [2]

- **ثانيا: التفسير اصطلاحا :**

هو علم يفهم به كتاب الله المنزل علي نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم و بيان معانيه واستخراج أحكامه وحكم هو قد جاءت كلمة التفسير في هذا المعني في الآية الكريمة:(لا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأخسن تفسيرا)،[3](أي أنهم لا يأتون بمثل أو مقولة أو بحث لأضعاف دعوتك و مقابلتها، إلا أتيناك بكلام حق يقمع كلماتهم الجوفاء و أدلتهم الخاوية بأحسن بيان و أفضل تفسير، أي بيانا وتفصيلا. ومادام موضوع علم التفسيركلام الله سبحانه وتعالي الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، فإن غايته التوصل إلى فهم معاني كلام الله سبحانه واستنباط أحكامه ومعرفة مراده ليصار بذلك إلى السعادة الدنيوية

[1] لسان العرب ، م.س ،

[2] الزكرشي ، ابو عبد الله بدر الدين ، البرهان في علوم القران ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهم ، دار احياء الكتب العربية V/T 190V

[3] الفر قان اية ٣٣

والأخروية) [1] وكما عرف الزركشى في كتابه البرهان علم التفسير بقوله: "علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالته على مراد الله تعالي، بقدر الطاقة البشرية" [2]

المبحث الأول

مبادئ علم التفسير ومؤهلات المفسر

❖ المطلب الأول: مبادئ علم التفسير:

- **أولاً: مكانة علم التفسير:** لعلم التفسير أهمية بالغة، إذ إن القرآن أنزله الله تعالى ليتمكّن الناس من تدبّره وفهمه، ومن خلال الفهم يُستضاء لتطبيق أحكامه والاقتداء بتوجيهاته، فتستريح النفوس للعمل بما فيه. وقد أكد الله تعالى على أهمية التدبر والتفسير في عدة آيات، منها قوله سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾. كما أمر الله تعالى نبيه الكريم بمهمة التفسير والتبيين، فقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وقد قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه المهمة على أكمل وجه، فكان أصحابه إذا واجهوا صعوبة في فهم أي آية من القرآن، يسألون النبي فيوضح لهم المعنى ويبين لهم المراد، مما جعل التفسير جزءًا أساسيًا من استيعاب القرآن الكريم وتطبيق [3]

وجاءت كلمة التفسير في هذا المعنى في الآية الكريمة ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) ، اي بياناً وتفصيلاً، إن علم التفسير أحد العلوم الشرعية الأساسية المتعلقة بالقرآن الكريم من حيث أنه يهدف إلى تحصيل القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة من كلام الحق سبحانه إضافة إلى تذكير المخلوق بحق الخالق، وتنبيه العابد

---

[1] ينظر: تاصر، مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، مدرسة الإمام عليقم ١٤٢١هـ،ط١، ١١/٢٥

[2] البره رهان في علوم القران،م.س ٢/ ٧.

[3] عماد علي عبد السميع ، التيسير في اصول واتجاه التفسير ، دار الرشاد ، القاهرة ، ١٤٠١ هـ ، ص ٨٠

للاستعداد إلى يوم المعاد، وتحذير الإنسان من مكائد الهوى والشيطان وغير ذلك، مما يحصله المؤمن نتيجة معرفته بتفسير كلام الله وإطلاعه على أسراره وخفاياه [١]

- **ثانياً: نشأة علم التفسير:** في بدايات الإسلام، كان العرب – كونهم ناطقين أصليين باللغة – قادرين عمومًا على فهم القرآن الكريم واستيعاب معانيه وأهدافه بفضل كفاءتهم اللغوية الفطرية. وكان فهمهم في معظمه خاليًا من التأثيرات الخارجية، غير مشوش بالغموض التأويلي، وغير مشوب بالبدع العقائدية اللاحقة. ومع ذلك، كانوا أحيانًا يترددون عند بعض الآيات التي كانت مقاصدها دقيقة ومعانيها غير واضحة للعيان. إلا أن هذا التردد كان قصير الأمد، إذ كانوا يحيلون هذه الأمور إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي كان يوضح ما يعجزون عن فهمه ويبين ما يكتنفهم من غموض. فقد كان هو الموكل بإيصال الوحي وتفسيره. [٢]

وكان من بين المسلمين من أغفل هداية القرآن، وانحرف برأسه في طريق الغواية، فلم يتبع المنهج القويم والواضح الذي سلكه الصالحون في فهم القرآن والعمل به. فبدأ يفسر القرآن تأويلاً لا يوافق مقصده، وسلك في شرح نصوصه طريقًا ملتوية، مليئة بالتعسف والتكلف غير المقبول. وكان سبب انحرافه في هذه الطريق الملتوية، التي أبعدته عن هداية القرآن، هو هيمنة عقيدته على عقله وقلبه وحواسه، فحاول أن يستخرج من القرآن ما يبرر بدعته، ويجعل نصوصه الصريحة دعامة لأصول عقيدته، فتلاعب بالمعاني، وحرف القرآن عن مواضعه، وحمّل ألفاظه ما لا تدل عليه، مما أدى إلى فتنة في الأرض وفساد كبير، وبجانب هذا الفريق، ظهر فريق آخر من المسلمين، برع في علوم لم يعرفها العرب من قبل، فحاولوا الربط بين هذه العلوم وبين القرآن، مستندين إلى قواعدهم ونظرياتهم. وقد كان هدفهم متباينًا؛ فمنهم من قصد ترويج هذه العلوم على حساب القرآن، ومنهم من أراد خدمة الدين وفهم

[١] حمودي امام الشافعي محمد واخرون، دراسات حضارية في التاريخ الاسلامي، دار التعليم الجامعي، الاسكندرية، .ب . ت ، ص ٤٩٠

[٢] الذهبي، محمد حسين (ت: ١٣٩٨هـ)، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٦م، ١/٦.

القرآن في ضوء هذه المعارف. ونتيجة لذلك، خرجت تفاسير عديدة متنوعة، تجمع بين الخير والشر، وتختلف في منهجها وأسلوب شرحها ووسائل بيانها [١]

وأول من أظهر تفسير القرآن وبين للناس معانيه رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) وكان هو أعلم الناس بمعانى كتاب الله وإدراك أسراره ومعرفة مقاصده، بل هو الذي وجه إليه الله كلامه حيث قال:البين للناس ما زل إليهم)[٢] وأجمع العلماء على أن أبرز المفسرين للقرآن هو الأمام على بن أبي طالب عليه السلام)، حيث كان أكثر الصحابة تصديا وتفسيرا فكان يقول: ورد عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: «اسألوني عن كتاب الله، والله ما من آية إلا وأنا أعلم إن كانت قد نزلت ليلاً أو نهاراً، على سهل أو على جبل». ومن أبرز الصحابة الذين انخرطوا في تفسير القرآن الكريم عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس (رضي الله عنهما). وقد اشتهر ابن عباس، على وجه الخصوص، بلقب «مفسر القرآن»، وكان من أبرز المفسرين، وعالماً بارزاً في المجتمع.

... من بين التابعين، كان أبرز ناقلي علم التفسير مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة (مُعتق ابن عباس)، وطاووس، وعطاء بن أبي رباح، وقد نقل معظمهم ما تعلموه من ابن عباس. وبالمثل، نُقل إرث ابن مسعود التفسيري عن طريق شخصيات مثل علقمة، والأسود بن يزيد النخعي، وعبيدة بن عمرو السلماني، وعمرو بن شرحيل.[٣]

- **ثالثا: استمداد علم التفسير:** نزل القرآن الكريم على نبي أمي، وقوم أميين، لم يكن لهم من العلم سوى ألسنتهم وقلوبهم، وكان لهم بعض الفنون الكلامية التي ينقلون فيها آراءهم ويتبادلونها فيما بينهم. ولم تتجاوز هذه الفنون عادة ضروب الوصف، وأنواع الحكم، وطائفة من الأخبار والأنساب، وقليل من ما يسير هذا السير. وكان كلامهم يمزج بين

[١] الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠، ص٣. (٢)

[٢] سورة النحل اية ٤٤

[٣] الخضيري، محمد بن عبد الله بن علي، تفسير التابعين، دار الوطن للنشر، رسالة دكتوراه، ٢٠١٤، ص٢٩

الحقيقة والمجاز، والتصريح والكناية، والإيجاز والإطناب، وفِي إطار سنة الله تعالى في إرسال الرسل، نزل القرآن بلغة العرب وبأساليبهم في التعبير، كما قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ"، فجاءت ألفاظ القرآن عربية، مع وجود بعض الألفاظ القليلة التي اختلف العلماء في شأنها؛ فمنهم من رأى أنها مستعارة من لغات أخرى لكن العرب استوعبوها وجرّوا عليها قواعد لغتهم فأصبحت عربية بالاستعمال، ومنهم من رأى أنها عربية خالصة، وإن كانت قد تواردت عليها لغات أخرى. وبغض النظر عن هذا الاختلاف، فإن هذه الألفاظ لا تغير من كون القرآن كتابًا عربيًا أصيلًا.[١]

استعمل القرآن الكريم أساليب الحقيقة والمجاز، والتصريح والكناية، والإيجاز والإطناب، وعلى نمط العرب في كلامهم، إلا أن القرآن يعلو على سائر الكلام العربي بفضل معانيه العميقة والجليلة، التي تختلف عن أساليب العرب المعتادة، وهو يبتعد عن فنون كلامهم تحقيقًا لإعجازه وكونه وحيًا من لدن حكيم عليم، ويقول ابن خلدون: "إن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه".

غير أن البعض يرى أن نزول القرآن بلغة العرب لا يعني بالضرورة أن كل العرب كانوا يفهمونه فهمًا تامًا في مفرداته وتراكيبه، وأقرب دليل على ذلك ما نراه اليوم من الكتب المؤلفة بلغات متعددة، حيث يعجز كثير من أبناء هذه اللغات عن إدراك كثير مما جاء فيها. فالفهم لا يتوقف على معرفة اللغة وحدها، بل يحتاج الباحث عن المعاني إلى موهبة عقلية خاصة، تتناسب مع عظمة الكتاب وقوة تأليفه [٢]

- رابعا: علم التفسير يرتبط ارتباطًا وثيقًا ببقية العلوم الشرعية، لأن موضوعه هو كلام الله سبحانه وتعالى، وهذا الكلام مصدر كل حكمة وفضيلة. وغاية التفسير هي فهم معاني القرآن، واستخراج الأحكام الشرعية منه، ومعرفة مقاصد الله، حتى يتمكن الإنسان من السير على الطريق الذي يحقق له السعادة في الدنيا والآخرة، ولأن القرآن كلام مقدس، ولأن فهمه مرتبط بأحكام تؤثر في حياة الناس، فإن علم التفسير لا يمكن أن يقوم بدون

[١] تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، م.س، ص٦٩.

[٢] تفسير التابعين، م.س، ص٣٣.

الاستناد إلى علوم ومبادئ أخرى. فالعالم الذي يفسر القرآن يحتاج إلى معرفة اللغة العربية بما فيها النحو والصرف والاشتقاق والمعاني وعلوم البلاغة مثل البيان والبديع، لكي يتمكن من فهم ألفاظ القرآن وجملها بدقة. كما يحتاج إلى معرفة القراءات القرآنية وأسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ ليعرف سياق الآيات وكيفية تطبيقها.

إضافة إلى ذلك، يستعين المفسر بعلم أصول الدين وأصول الفقه والفقه نفسه، وكذلك بالحديث الشريف لتوضيح ما جاء مجملًا أو مبهمًا في القرآن. وأخيرًا، لا يغفل المفسر عن أهمية ما يُسمّى "علم الموهبة"، أي الفطرة والعقل الذي يمنحه الله للإنسان المؤمن بالإخلاص، ليتمكن من إدراك المعاني العميقة وفهم مراد الله، مع التزامه بدين الله.

وإذا غاب عن المفسر أي من هذه العلوم أو بعضها، فقد يخطئ في تفسير النص القرآني، وقد يؤدي ذلك إلى ضلال في الفهم والاعتقاد [1]

❖ **المطلب الثاني: شروط ومؤهلات المفسر**

- **أولا: معرفة اللغة:** كل أمة تعتز بلغتها وتفتخر بها، وتعتقد أحيانًا أنها الأفضل بين اللغات، وهذا أمر طبيعي، فاللغة تمثل هوية الأمة ومجدها وتاريخ حضارتها، كما أنها أداة تواصل وتفكير. لكن اللغة العربية بالنسبة للأمة العربية والمسلمين تتجاوز ذلك، فهي لغة دينهم وكتاب ربهم، وجعل الله فهمها ضرورةً وتعلمها شرفًا. ولهذا، يختلف ارتباط المسلم بلغته عن ارتباط أي شخص بلغته الأم فقط، إذ لا يمكنه قراءة القرآن إلا بلغته التي نزل بها، ولا يستطيع أداء شعائره وعباداته على الوجه الصحيح إلا بها. فاللغة العربية هي الوسيلة الأساسية لفهم مقاصد النص القرآني ومعانيه العميقة، واستخراج الأحكام الشرعية منه. استعان المفسرون باللغة العربية وفنونها من نحو وصرف وبلاغة ومعاني وأساليب البيان لفهم مراد الله في كتابه، والكشف عن أسراره، وتحديد دلالاته بدقة. ولذلك اعتبر العلماء تعلم اللغة العربية جزءًا من الدين، إذ أن فهم القرآن والسنة يعتبر من أوجب الواجبات، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. يقول ابن فارس عن

[1] التفسير والمفسرون، فراس، ١/٩٢

وجوب تعلم العربية: "إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلم من العلم بالقرآن والسنة والفتيا، حتى لا يغني أحد عن غيره، لأن القرآن نزل بلغة العرب، ورسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عربي، ومن أراد فهم كل كلمة أو نظم غريب في كتاب الله وسنة رسوله، لا بد له من العلم باللغة." .[1]

يؤكد الشاطبي أن الفهم الصحيح للشريعة لا يتحقق إلا بالرجوع إلى الاستعمال اللغوي السائد عند العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، إذ إن الأعراف اللغوية المستقرة في كلامهم تمثل الأساس المعتمد في تفسير النصوص الشرعية. ولا يجوز العدول عن هذا العرف في فهم الشريعة ما دام قائمًا، كما لا يصح تحميل النصوص معاني أو دلالات لا يسندها الاستعمال العربي المألوف. ويشمل هذا المبدأ الألفاظ والمعاني والأساليب جميعها ، وانطلاقًا من ذلك، تتجلى أهمية اللغة العربية بوصفها شرطًا أساسًا في تفسير القرآن الكريم؛ فمحاولة فهم النص القرآني أو استنباط مقاصده وأحكامه من غير إحاطة بلغته التي نزل بها تؤدي حتمًا إلى الخطأ والاضطراب في الفهم. وعليه، فإن الادعاء بإمكان فهم القرآن الكريم بمعزل عن المعرفة باللغة العربية يُعد قولًا غير مستقيم علميًا، ولا يستند إلى منهج صحيح في التفسير.[2]

- **ثانياً: معرفة ما يختص بعلوم القرآن:** يقوم التفسير بالرأي المحمود على جملة من الضوابط العلمية والمنهجية التي تضمن سلامة الفهم وصحة الاستنباط، وقد اشترط العلماء لتحقيق ذلك توافر مجموعة من الشروط فيمن يتصدّى لتفسير القرآن الكريم.

➢ أن يكون المفسّر متمكنًا من مسائل العقيدة الصحيحة، حتى يسلم تفسيره من التأثر بالاتجاهات العقدية المنحرفة، كآراء الجهمية والخوارج والمعتزلة والقدرية والمرجئة وغيرها من الفرق التي أفضت انحرافاتها إلى تأويلات غير منضبطة للنصوص الشرعية.

[1] عاشور، محمد الفاضل، التفسير ورجاله، مجموع البحوث الاسلامية، الازهر، ١٩٧٠، ص٢٣٨.

[2] التفسير والمفسرون، م.س، ٢/١٠٨.

- أن يكون على دراية تامة بالقرآن الكريم، حفظًا وفهمًا، بحيث يستطيع تفسير بعض آياته ببعض، إذ يُعدّ تفسير القرآن بالقرآن من أرسخ مناهج التفسير وأوثقها، ويُستحسن أن يُضاف إلى ذلك الإلمام بعلم القراءات لما له من أثر في توجيه المعنى.
- أن يكون عالمًا بالسنة النبوية، لأن كثيرًا من آيات القرآن قد ورد بيان معناها أو تفصيل أحكامها في السنة، فلا يجوز الاجتهاد في موضع ثبت تفسيره عن النبي، لما في ذلك من مخالفة صريحة للمنقول الصحيح.
- أن يكون مطّلعًا على أقوال الصحابة رضي الله عنهم، إذ إنهم أدرى الناس بمراد الله تعالى في كتابه؛ لشهودهم التنزيل ومعرفتهم بأسبابه وملابساته. ولا يصح للمفسّر أن يقدّم تفسيرًا يخالف ما نُقل عنهم دون مسوّغ علمي معتبر، وقد اعتنى كبار المفسرين، كابن جرير الطبري، بجمع أقوال الصحابة والتابعين وترجيحها، كما يظهر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]، حيث نقل عن السلف أن الضمير يعود إلى آدم وحواء.
- أن يكون المفسّر عارفًا بأحوال العرب وأساليبهم في الخطاب، حتى لا يُنزِل الآيات على غير مقاصدها، أو يحملها على معانٍ لا يقتضيها السياق العربي الذي نزل به القرآن.
- أن يمتلك معرفة راسخة باللغة العربية، تشمل النحو والصرف والمفردات، إضافة إلى علوم البلاغة، ولا سيما علم المعاني؛ لما له من دور في فهم دلالات الأساليب القرآنية. ويُفضّل أن تكون هذه المعرفة راسخة ناتجة عن ملكة لغوية، وإن كانت مكتسبة بالمراجعة والاطلاع فلا حرج إذا استقامت أصولها،وقد أضاف بعض أهل العلم شروطًا أخرى مكملة لهذه الضوابط، غير أن ما ذُكر يُعد من أهم الأسس التي يقوم عليها التفسير بالرأي المحمود، ويكفل سلامته من الانحراف والخطأ.. [1]

- **ثالثاً: وجه الحاجة الى التفسير ومعرفة القراءات:** تعدّ علم التفسير في نظر المسلمين كافة من أسمى العلوم وأجلّها منزلة، وقد بيّن الأصبهاني وجوه شرفه من عدة اعتبارات؛

[1] الرومي، فهد بن عبد الرحمن دراسات في علوم القرآن، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط ٤ ، ١٤٢٦هـ، ص ٨٥-٨٦.

أولها شرف موضوعه، إذ يتناول كلام الله تعالى بالبيان والشرح. وثانيها شرف غايته، لأن المقصود منه التمسك بالهداية الإلهية والاهتداء إلى السعادة الحقيقية التي تمثل الغاية العليا للإنسان. أما الوجه الثالث فيتمثل في شدة الحاجة إليه، ذلك أن كل كمال ديني أو دنيوي لا يتحقق إلا بالعلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهذه بدورها لا تُنال على وجهها الصحيح إلا من خلال الفهم العميق لكتاب الله تعالى. [1]

وقد أجاد جلال الدين السيوطي في وجه الحاجة الى التفسير؛ حيث قال : من المعلوم أن الله تعالي إنما خاطب خلقه بما يفهمونه، ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه وأنزل كتابه على لغتهم، وإنما احتيج إلى التفسير؛ لما سيذكر بعد تقرير قاعدة، وهي أن كل من وضع من البشر كتابا ، قاتما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح ، وإنما احتيج إلى الشروح لأمور ثلاثة :

- أولها: كمالُ فضيلة النصّ وقوّتُه العلمية، إذ يشتمل على معانٍ دقيقة كثيرة تُؤدَّى بألفاظ موجزة، الأمر الذي قد يُعسِّر الوقوف على مراده ابتداءً. ومن هنا كانت الحاجة إلى الشرح لكشف تلك الدلالات الكامنة، ويظهر أثر ذلك في تفاوت شروح العلماء؛ فبعضها يكون أدلَّ على المقصود وأقرب إلى مراد المؤلِّف من غيره.
- ثانيها: أن يُغفِل المؤلِّفُ بعضَ تتمّات المسألة أو شروطها اعتمادًا على وضوحها، أو لأنها من مباحث علمٍ آخر، فيحتاج الشارح حينئذٍ إلى بيان ما حُذف وتحديد مراتبه ووجوهه.
- ثالثها: احتمالُ اللفظ لأكثر من معنى، كما في المجاز والاشتراك ودلالة الالتزام، مما يستدعي تدخل الشارح لبيان مقصود المؤلِّف وترجيح أحد المعاني المحتملة. غير أنّ المتأمّل يلاحظ أن الوجه الأخير هو الأليق بتعليل الحاجة إلى تفسير القرآن الكريم، وذلك في الحالات التي لا تكون فيها الآية محاطة بقرائن قطعية—سياقية أو داخلية أو

[1] السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين (ت) ٩١١ هـ) ، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد ابو الفضل، هيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤، ٤/٩٤

غيرها—تُعيِّن المراد تعيينًا جازمًا؛ إذ متى وُجدت تلك القرائن، دلّت على المعنى المقصود بنفسها، وانتفت الحاجة إلى التفسي .[1]

من بين الأسباب التي تستدعي علم تفسير القرآن ما سنناقشه لاحقًا: وهو أن القرآن الكريم يحوي معاني باطنية وتفاسير عميقة لا يعلمها علمًا إلا الأئمة المعصومون (عليهم السلام). كما أن النص القرآني يتضمن آيات محكمةً ومتشابهةً وعامةً، وكلها تحتاج إلى تفسير وتوضيح. في مثل هذه الحالات، لا يكفي الاعتماد على المعنى الظاهر وحده، ولا يمكن استنباط المقصد الإلهي استنباطًا كاملًا بالعقل وحده. بل يصبح من الضروري الرجوع إلى الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، الذين وُصفوا في أحاديث كثيرة بأنهم راسخون في العلم.[2]

المبحث الثاني

مناهج تفسير القرآن الكريم وقواعده

❖ المطلب الأول: مناهج تفسير القرآن الكريم

- **أولاً: تفسير القرآن بالقرآن:**

يعد تفسير القرآن بالقرآن من أقدم طرق التفسير ويرجع استخدامه الى زمن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وقد استخدمه الائمة وبعض الصحابة والتابعين.

فمن امثلة استخدام النبي (صلى الله عليه واله وسلم لهذا النوع من التفسير انهم رووا انه (صلى الله عليه واله وسلم سُئل عن معنى الظلم في الآية الكريمة ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فأجاب (صلى الله علية واله وسلم بالاستناد الى الآية ان الشرك لظلم عظيم فالمقصود من الظلم في الآية الأولى هو الشرك المذكور في الآية الثانية .[3]لقد اعتمد مفسرو الإمامية هذا المنهج فيما بعد، خاصة مع ظهور تفاسير مثل التبيان ومجمع البيان، كما استخدمه أيضًا

[1] الاتقان في علوم القران، مس ص ؛١٧٤.

[2] الاتقان في علوم القران، م.ن ،ص١٧٥.

[3] عماد الدين ابي الفداء ابن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ)، تفسير ابن كثير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٨ ٤٤٤/٤٠

مفسرو أهل السنة. ومن الأمثلة على ذلك ما أشار إليه العلامة المجلسي، حيث ذكر جميع الآيات المتعلقة بموضوع معين في بداية كل فصل، مما يدل على استفادته من المنهج الموضوعي في تفسير القرآن بالقرآن. ولقي هذا المنهج اهتمامًا واسعًا، خصوصًا بين المفسرين في القرون الأخيرة، حتى تبناه بعضهم كمنهج رئيسي في تفسيرهم، كما يظهر في أعمال مثل تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، وتفسير الفرقان للدكتور محمد الصادقي الطهراني، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب، والراء الرحمن للبلاغي

يؤكد العلامة الطباطبائي أن القرآن الكريم يُوصف بأنه بيانٌ لكل شيء، ولذلك فمن غير المعقول ألا يكون تفسيراً لذاته. ويؤكد كذلك أن هذا المنهج في تفسير القرآن هو المنهج الذي اتبعه النبي صلى الله عليه وسلم وأهل البيت صلى الله عليهم وسلم، الذين نقلوه وعلموه عبر رواياتهم. [١]

إن هذا المنهج من أسمى المناهج الصحيحة الكافلة لتبيين المقصود من الآية كيف وقد قال سبحانه: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)،[٢] وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا).[٣] يشير هذا إلى توضيح آيات القرآن الكريم من خلال آيات أخرى، وبيان معانيها، مما يجعل القرآن نفسه المصدر الأساسي لتفسير نصه. ويُعدّ تفسير القرآن بالقرآن من أقدم مناهج التفسير، ويعود تاريخه إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد استخدمه الأئمة عليهم السلام، وبعض الصحابة وخلفائهم. وفي القرن الماضي، حظي هذا المنهج باهتمام كبير من العلماء، حتى أن بعض المفسرين اتخذوه منهجًا تفسيريًا رئيسيًا. وكما قال الإمام علي عليه السلام في وصفه للقرآن: «كتاب الله الذي به تُبصرون والذي به تتكلمون، أجزاؤه تشهد بعضها لبعض، ولا يوجد فيه خلاف في الله، ولا ينحرف أتباعه عنه»."[٤]

---

[١] السيد حسين محمد الطبطبائي، تفسير الميزان، منشورات الاعلمي للمطبوعات ، ط ١ ، بيروت، ١٩٩٧، ١٤/١-١٥.

[٢] النحل: ٨٩

[٣] النساء: ١٧٤.

[٤] الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة ، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٩٨٧ ، الخطبة ١٩٩.

وفي الروايات المأثورة عن أهل البيت نماذج كثيرة من هذا المنهج يقف عليها المتتبع في الآثار الواردة عنهم عند الاستدلال بالآيات على كثير من الأحكام الشرعية الفرعية وغيرها.

سأل زرارة ومحمد بن مسلم أبا جعفر عليه السلام عن وجوب القصر في الصلاة في السفر مع أنه سبحانه يقول : (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) [1]ولم يقل افعلوا؟ فأجاب الإمام عليه السلام بقوله: « أو ليس قد قال الله عزّ وجلّ في الصفا والمروة : إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) .[2]

هذا النمط من التفسير كما يتحقق بالتفسير الموضوعي، أي تفسير القرآن حسب الموضوعات؛ يتحقق بالتفسير التجزيئي، أي حسب السور، سورة بعد سورة؛ وهذا هو تفسير الميزان» سار بعض المفسرين في منهج تفسير القرآن بالقرآن وفق ترتيب السور، دون الالتزام بجمع الآيات المتصلة بالموضوع الواحد في موضع مستقل، فكانوا يوضحون ما في الآية من إبهام أو إجمال من خلال آيات أخرى تشترك معها في المعنى أو الدلالة. غير أن استكمال الصورة المنهجية المتكاملة لهذا اللون من التفسير لا يتحقق إلا بالإحاطة الشاملة بالقرآن الكريم، وتتبع الآيات الواردة في القضية الواحدة، ثم جمعها والنظر فيها مجتمعة، حتى يظهر المعنى بجلاء من خلال ربط بعضها ببعض، واستجلاء دلالاتها المتبادلة..[3]

---

[1] الأحزاب: ٥.

[2] العاملي، محمد ابن الحسن ، الوسائل الشيعة ، المؤسسة ال البيت لاحياء التراث الباب : ٥، ٢٢ ن أبواب صلاة المسافر، الحديث ٢.

[3] السبحاني، العلامة الفقية جعفر المناهج التفسيرية في علوم القرآن، مؤسسة الامام الصادق، قم، ب.ت ، ١/١٤٣

يقول صاحب الميزان العلامة الطباطبائي: نفسر القرآن بالقرآن ونستوضح معنى الآية من نظيراتها بالتدبر المندوب إليه في نفس القرآن، ونشخّص المصاديق ونتعرفها بالخواص التي تعطيها الآية"[١]

ويرى الشيخ أن منهج تفسير القرآن بالقرآن—بعد تقريره أن القرآن هو أصدق المصادر وأوثقها في بيان معانيه—ينقسم إلى قسمين رئيسين:

- الأول: أن يَرِد في القرآن موضع يتّسم بالإجمال أو الإبهام، ثم يأتي بيانه في موضع آخر، بحيث تقوم بين الآيتين علاقة تناسب دلالي أو لفظي، فيُفسِّر أحدهما الآخر، ويُكشف المعنى من خلال هذا الترابط الداخلي بين النصوص القرآنية.
- الثاني: أن لا يكون رفع الإبهام في الآية عن طريق آية أخرى تشترك معها مباشرة في اللفظ أو المعنى، وإنما تأتي آية أخرى بوصفها شاهدًا قرآنيًا يؤيد المعنى ويقوّيه، ويسهم في توجيه الدلالة العامة، وإن لم تكن نصًا صريحًا في بيان الإبهام ذاته [٢]

- **ثانياً: التفسير البياني للقرآن:**

يُعد التفسير البياني أحد أنواع التفسير الأدبي للقرآن الكريم؛ لاختصاصه بدراسة معاني الألفاظ ودلالات التراكيب القرآنية، وما فيها من الإعجاز الذي تحدّى به الله – جل في علاه – العرب عند نزوله، على الرغم من فصاحتهم وبلاغتهم، وما زال يتحدى به العالمين في وقتنا الحاضر، وسيبقى كذلك حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، يقوم هذا المنهج— الذي تنسب الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ابتكاره إلى أستاذها أمين الخولي— على تتبّع اللفظ القرآني في جميع مواضع وروده داخل النص القرآني، بقصد الوصول إلى دلالته الدقيقة. ويعتمد هذا المسلك على دراسة الظاهرة الأسلوبية في القرآن من خلال عرضها على نظائرها المختلفة في الكتاب المحكم، مع التأمل في سياقها الخاص ضمن

[١] تفسير الميزان، م.س، ١/١١

[٢] معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية ٢ / ٢٢–٢٥.

الآية والسورة، ثم النظر في سياقها العام ضمن البناء الكلي للمصحف، سعيًا إلى الكشف عن أبعادها البيانية وأسرارها الدلالية.

لم يتفق المفسرون البيانيون على تعريف اصطلاحي واحد للتفسير البياني، لذا سأكتفي بتعريف الدكتور فاضل السامرائي يُعرف التفسير البياني على أنه " التفسير الذي يبين أسرار التراكيب في التعبير القرآني. فهو جزء من التفسير العام، تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية، كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف، واختيار لفظة على أخرى، وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التفسير". [1]يعد هذا أشمل تعريف اصطلاحي للتفسير البياني.

حاصل هذا المنهج يدور على ضوابط وهي:[2]

- اولاً: التناول الموضوعي لما يراد فهمه من القرآن، ويُبدأ بجمع كل ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس.
- ثانياً: ترتب الآيات فيه حسب نزولها، لمعرفة ظروف الزمان والمكان كما يستأنس بالمرويات في أسباب النزول من حيث هي قرائن لابست نزول الآية دون أن يفوت المفسّر أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية.
- ثالثاً: في فهم دلالات الألفاظ يُقدّر أنّ العربية هي لغة القرآن، فتلتمس الدلالة اللغوية الأصلية التي تعطينا حس العربية للمادة في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية، ثم يخلص للمح الدلالة القرآنية بجمع كل ما في القرآن من صيغ اللفظ وتدبّر سياقها الخاص في الآية والسورة وسياقها العام في القرآن كله.
- رابعًا، في استنباط دلالات التعبير القرآني، يعتمد المفسر أساسًا على السياق الداخلي للنص الكريم، ملتزمًا بالمعنى اللفظي للكلمات في بُعديها الحرفي والمجازي. ثم يُستعان بآراء المفسرين السابقين، مع إعطاء الأفضلية للتفاسير التي تتوافق مع الأدلة النصية والدلالات السياقية، ويشكل هذا المنهج جوهر الإطار المنهجي الذي ابتكره الأستاذ

---

[1] السامرائي، فاضل صالح، على طريق التفسير البياني، ط النشر العلمي – جامعة الشارقة ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م ، ١/٧

[2] المناهج التفسيرية في علوم القرآن، م.س، ١/ ١٤٥

الخولي المصري، وطورته لاحقًا تلميذته بنت الشاطبة. وفي هذا السياق الفكري، صدر كتاب "التأويل البلاغي للقرآن الكريم"، في مجلدين. يحتوي المجلد الأول على تفسير بلاغي للسور التالية: الضحى، الشرح، الزلزلة، النازعات، العاديات، البلد، والتكاثر. أما المجلد الثاني فقد تناول: العلق، والقلم، والعصر، والليل، والفجر، والهمزة، والماعون.».[١]

اما صحابة رسول الله تعالى فقد ساروا على نهج الرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم في بيان القرآن، وأبن عباس هو أبرزهم في ذلك، فقد كان يلجأ الى الشعر في بيان معاني القرآن الكريم"[٢]

إن هذا الاهتمام الدقيق بتفاصيل صياغة القرآن الكريم – على مستوى الآيات والعبارات والمفردات – يُلاحظ أيضًا في العديد من الروايات المنقولة عن أهل البيت (عليهم السلام). ومن الأمثلة البارزة على ذلك ما رواه الصدوق بسنده عن زهرّة، قال: سألتُ أبا جعفر (عليه السلام): "أتُخبرني كيف استنتجتَ أن المسح يشمل جزءًا من الرأس وجزءًا من القدمين؟" فتبسّم وقال: "يا زهرّة، لقد علّم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا، وأُنزل كتاب الله تعالى على ذلك. فإن الله تعالى يقول: "فاغسلوا وجوهكم" – فنفهم من ذلك أن الغسل يشمل الوجه كله." ثم تابع.: (وَأَيْدِيَكُمْ إِلى المَرَافِق (فعرفنا أنه ينبغي لهما أن يغسلا إلى المرفقين ، ثم فصل بين الكلاميين فقال : (وامسَحُوا بِرؤُوسِكُم (أنّ المسح ببعض الرأس لمكان « الباء » ثم وصل الرجلين بالرأس ، فعرفنا حين وصلهما بالرأس أنّ المسح على بعضهما ، ثم فسر ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للناس فضيعوه[٣]

❖ **المطلب الثاني: قواعد علم التفسير:**

- **أولاً: اللفظ القرآني:** [٤]: يمكن تناول القرآن الكريم من زوايا علمية متعددة. فعند النظر إليه كنص مكتوب، يصبح من اختصاص علم الرسم القرآني، الذي يدرس قواعد كتابة

---

[١] المناهج التفسيرية في علوم القرآن ، م.س، ص ١٤٦ .

[٢] البيومي، محمد رجب، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، ط مجمع البحوث الإسلامية – القاهرة، ١٣٩١ هـ – ١٩١٦م، ص ١٥

[٣] الوسائل الشيعة، م . س : ١ ، الباب ٢٣ من أبواب الوضوء، الحديث ، والاية ٦ من سورة المائدة

[٤] الحكيم، محمد باقر ، علوم القرآن مصادر التفسير عند الشيعة ، ط ، مجمع الفكر الإسلامي ، قم ، ١٤١٧هـ، ص ٢٤٢ .

القرآن وتكوين خطه. كما يمكن دراسته في ضوء الظروف التاريخية المحيطة بزمن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذه الحالة يندرج ضمن علم أسباب النزول، وهو فرع من فروع العلم يُبين السياقات والظروف التي نزلت فيها آيات معينة. وتختلف هذه العلوم باختلاف جانب الكتاب المقدس قيد الدراسة، فالقرآن الكريم متعدد الأبعاد، كل منها يُشكل مجالًا دراسيًا مستقلًا.

ومن أهم هذه الأبعاد النظر إلى القرآن الكريم كخطاب ذي معنى. من هذا المنظور، يصبح القرآن الكريم موضوعًا لعلم التفسير، الذي يسعى إلى كشف معاني النص القرآني وتوضيح دلالاته ومقاصده. هذه الوظيفة تجعل التفسير من أهمّ وأركان العلوم القرآنية. كما يُمكن اعتبار القرآن الكريم مصدرًا أساسيًا للتشريع؛ وفي هذا السياق، يُدرس ضمن علم الأحكام، الذي يُركز على استنباط الأحكام الشرعية من النص القرآني ومقارنتها بمصادر فقهية أخرى معترف بها، كالسنة النبوية والإجماع والعقل، علاوة على ذلك، يُمكن اعتبار القرآن الكريم الدليل الرئيسي على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. من هذا المنظور، يصبح القرآن موضوعًا لعلم إعجاز القرآن، الذي يبحث في السمات المميزة التي تميز القرآن عن الخطاب البشري وتُظهر أصله الإلهي. وبالمثل، عندما يُدرس القرآن كنص لغوي عربي، فإنه يندرج ضمن نطاق علوم النحو والبلاغة القرآنية، التي تُحلل بنيته النحوية وأنماطه البلاغية.

ومن الأمثلة على إمكانية استنباط المعنى مباشرةً من النص القرآني، ما رواه الإمام أبو عبد الله (عليه السلام) عن قوله: «هذا ومثله معلوم من كتاب الله تعالى... ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُم فِي الدِّينِ حَسَنًا﴾». وقد استند الإمام بهذه الآية لاستنباط حكم شرعيّ بناءً على مبدأ نفي الحَسَن، مُرشدًا بذلك السائل إلى منهج استنباط الأحكام من النص القرآني عبر الاستدلال العلميّ المُستنير، وختامًا، فإنّ التفسير المحظور القائم على الرأي الشخصيّ (التفسير بالرأي) قد يندرج تحت أحد التصنيفات المذكورة سابقًا؛ إلا أنه يختلف عن التدبّر في القرآن الكريم الذي يهدف إلى فهم معانيه، وبالتالي هداية القارئ إلى الصراط المستقيم. بل إنّ القرآن الكريم نفسه يدعو مرارًا وتكرارًا إلى تدبّر آياته. لذا، من الضروري التمييز بين

تفسير الصياغة على المستوى المفاهيمي وتفسير المعنى على مستوى التطبيق العملي، لأن هذا التمييز يحل التوتر الظاهر الذي قد ينشأ بين بعض الحقائق القرآنية.

- **الحقيقة الأولى:** ان القرآن كتاب هداية، وقد وصف نفسه بأنه (هُدًى لِلنَّاسِ (...) [١] (ونور مبين ...) [٢] و (تبياناً لكل شيء ...) [٣]وهذه الحقيقة تفرض أن يجيء القرآن ميسر الفهم وأن يتاح للإنسان استخراج معانيه منه، إذ لا يحتاج للقرآن أن يحقق أهدافه ويؤدي رسالته لو لم يكن مفهوماً من قبل الناس.
- **الحقيقة الثانية:** إنّ العديد من المواضيع التي تناولها القرآن الكريم أو ألمح إليها ليست سهلة الفهم بالنسبة للعقل البشري العادي؛ بل إنّ بعضها قد يفوق إدراك العقل البشري. فطبيعتها الدقيقة وبُعدها عن مجال التجربة الحسية والحياة اليومية قد يُؤديان إلى تردّد العقل أو تشتّت ذهنه عند محاولة فهمها. ويتضح ذلك في الإشارات القرآنية إلى اللوح المحفوظ، والقلم، والعرش، والميزان، والملائكة، والشيطان، وإنزال الحديد، ورجوع البشر إلى الله، والخزائن الإلهية، وملك السماوات والأرض، وما شابه ذلك من مواضيع ميتافيزيقية.

وبناءً على ذلك، فإنّ طبيعة أهداف القرآن ورسالته تقتضي أن يبقى في متناول فهم قرّائه. ومع ذلك، يبقى الواقع أنّ بعض مواضيعه صعبة بطبيعتها وقد تُحيّر العقل البشري. يُحلّ التناقض الظاهر بين هذين الأمرين بالتمييز بين تفسير اللفظ وتفسير المعنى، ويُحتّم الاعتبار الأول – وهو الوضوح الجوهري لرسالة القرآن – أن يكون القرآن مفهوماً على مستوى التعبير، أي من حيث لفظه. من هذا المنظور، يكون النص القرآني سهل الفهم لغوياً، مما يُمكّن القراء من استنباط معانيه المباشرة. إلا أن الصعوبة الحقيقية تكمن في تحديد الحقائق الملموسة والدلالات الوجودية الكاملة لتلك المعاني.

لذا، فإن الآيات التي تتناول المواضيع الميتافيزيقية المذكورة آنفاً، في شكلها اللغوي، واضحة وقابلة للتفسير دون صعوبة كبيرة. لا يكمن التحدي في فهم الكلمات نفسها، بل في

---

[١] البقرة : ١٨٥

[٢] المائدة : ١٥

[٣] النحل : ٨٩

إدراك المراجع والحقائق النهائية التي تشير إليها تلك الكلمات. وبما أن هذه المواضيع تتعلق بعوالم تتجاوز العالم الحسي الذي يعيش فيه البشر، فمن الطبيعي أن يواجه العقل البشري صعوبة كبيرة عند محاولة تحديد طبيعتها بدقة أو تصورها بشكل كامل ضمن حدود الواقع التجريبي. [١]

وقد يتساءل هنا عن الضرورة التي دعت القرآن الكريم إلى أن يتعرض لمثل هذه المعاني التي يستعصي تفسيرها على الذهن البشري، فيخلق بذلك صعوبات ومشاكل هو في غنى عنها، لكن في الواقع، لم يكن للقرآن الكريم أن ينفصل عن هذه التحديات والتعقيدات. فبصفته الكتاب المركزي والمرجعي للدين، يخاطب القرآن الكريم البشرية في المقام الأول بتوجيه وعيها نحو عالم الغيب، غارسًا في النفس البشرية نزعة الإيمان بما يتجاوز الإدراك الحسي. ويتحقق هذا الهدف من خلال مواضيع توقظ الوعي الإنساني على صلته بحقيقة أسمى من العالم المادي، حتى وإن ظل عمق تلك الحقيقة وتفاصيلها الدقيقة عصية على الفهم البشري. [٢]التفسير بوصفه علماً وأما التفسير بوصفه علماً فهو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم بوصفه كلاماً الله تعالى .[٣]

وللتوضيح، فإن القرآن الكريم يُؤخذ باعتبارات متعددة، فهو أحيانًا يُنظر إليه بوصفه حروفًا مكتوبة تُرسم على الورق، وأحيانًا بوصفه أصواتًا يُنطق بها ويُتلى بلسان القارئ، وأحيانًا بوصفه كلامًا لله تعالى. وكل اعتبار من هذه الاعتبارات يجعل القرآن موضوعًا لعلم مستقل يشتمل على بحوث خاصة به؛ فالقرآن من حيث كونه حروفًا مكتوبة يكون موضوعًا لعلم رسم القرآن، الذي يدرس قواعد كتابة النص القرآني وأحكام رسمه. ومن حيث كونه يُتلى

[١] الجرجاني، ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، درج الدرر في تفسير الآي والسور، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٩، ص ١٣١.

[٢] .م، ن، ص ١٣٤

[٣] الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت) ٥١٣٦٧ ، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، ط٣،

ويُنطق، يصبح موضوعًا لعلم القراءات والتجويد، الذي يعنى بأحكام النطق والأداء الصوتي للقرآن. أما من حيث كونه كلام الله تعالى، فيقع القرآن موضوعًا لعلم التفسير، الذي يختص بدراسة معانيه وبيان مقاصده وحكمه.

وعلم التفسير لا يشمل دراسة كيفية كتابة الحروف أو طريقة نطقها بالصوت، فهذه الأمور ليست من صفات القرآن باعتباره كلام الله. إنما يقتصر علم التفسير على البحث في القرآن بوصفه كلامًا إلهيًا، ويُعنى بفهم معانيه، ودلالاته، ومقاصده، وفق البحوث التي سبق ذكرها [١]:

- أولًا، يُعدّ فحص معنى كل كلمة أو عبارة في القرآن الكريم أمرًا جوهريًا، إذ إنّ إسناد معنى مُحدّد لمصطلح قرآني مُستمدّ من طبيعة القرآن بوصفه كلام الله، لا من خصائص الحروف أو الأصوات في حدّ ذاتها.
- ثانيًا، من الضروري دراسة إعجاز القرآن الكريم والكشف عن أبعاده المختلفة في الإعجاز. يُفهم هذا الإعجاز على أنه سمة من سمات القرآن الكريم بوصفه خطابًا ذا معنى يُوصل رسالته المقصودة بفعالية.
- ثالثًا، يُعدّ دراسة أسباب النزول أمرًا أساسيًا، لأنّ تحليل سبب نزول آية ما يتطلّب التعامل مع القرآن الكريم بوصفه خطابًا ذا معنى. فما يحمل معنىً فقط هو ما يُمكن ربطه بظرف تاريخي مُحدّد يُفسّر سياق نزوله.
- رابعًا، ترتبط دراسة النسخ (النسخ والمنصور)، إلى جانب التمييز بين العام والخاص، والمطلق والمقيد، ارتباطًا وثيقًا بالنص القرآني بوصفه خطابًا إلهيًا ذا مغزى.
- خامسًا، لا تقل أهميةً دراسة أثر القرآن على مسار التاريخ ودوره في توجيه الحضارة الإنسانية وتشكيلها. ينبع التأثير التحويلي للقرآن من فعاليته بوصفه كلام الله، لا من مجرد شكله المكتوب أو أصواته المتلوة. ويمتد هذا المنظور إلى مجالات بحثية أخرى تتعامل مع القرآن بوصفه كلامًا إلهيًا.

[١] علوم القرآن مصادر التفسير عند الشيعة، م.س، ص ٢٤٥. ج ٢.

وبناءً على ذلك، فإن تعريف علم التفسير يستلزم بالضرورة تعريف موضوعه: القرآن بوصفه كلام الله تعالى. ومن هذا المنطلق، يتضح أن مجالات كعلم النسخ أو علم إعجاز القرآن لا يمكن اعتبارها تخصصات مستقلة تمامًا تندرج تحت علم التفسير. بل إنها تمثل فروعًا متخصصة ضمن المسعى التفسيري الأوسع، يتناول كل منها بُعدًا محددًا من النص الإلهي. فعلى سبيل المثال، يدرس علم الإعجاز الخطاب القرآني مقارنةً بالإنتاج اللغوي البشري، الذي يُشكل جوهر التفرد. وبالمثل، يُحلل علم أسباب النزول النص القرآني في ضوء الأحداث والظروف التاريخية المحيطة بنزوله. وينطبق المبدأ التحليلي نفسه على الفروع الأخرى.

- **ثانياً: السياق القرآني:** يعتمد فهم أي نص لها العلماء كل في مجال اختصاصه فعرضوا لها تفصيلاً وتأصيلاً؛ بغية الوصول إلى تفسير للنص يكشف عن المراد منه. إن هذه العوامل – على تفاوت بينها في الآثار والثمار – ذات تأثير مباشر على المعنى الدقيق للكلمات "وهذا أمر لم يعارض فيه أحد معارضة جدية، ويعد السياق من أبرزها، وأكثرها أثرا في تحديد المعنى؛ لأن اللغة ظاهرة اجتماعية، فيكون الفهم متوقفاً على النظر إلى الكلام في ضوء السياق، سواء أكان هذا السياق كلامياً أم غير كلامي تتسع دائرة السياق بعامة، ويمتد نفوذه فيؤثر في جوانب متعددة في النص، فهو يسهم في تحديد المعنى ودفع اللبس، كما في كلمة "السائل" مثلاً، ففي قولنا: "الدواء السائل أسلم للأطفال. تكون "السائل" اسم فاعل من "سال"، وفي قوله تعالي : (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) ،[1]

تكون "السائل" اسم فاعل من "سأل"، وفي قولنا: سائل العلياء عنا" يكون سائل "فعل أمر، ويعود الفضل للسياق في ضبط هذه الدلالات للكلمة الواحدة ، ودفع ما قد يتوهم من لبس. [2]، وللسياق كذلك أثر في تحديد الزمن النحوي، وفي حل بعض مشاكل التنافر ، وتوالي الأضداد، كما يحول السياق دون إنشاء جمل مستقيمة نحوياً ولا معنى لها، كقولنا:

[1] المعراج : ٢٤

[2] عطار، احمد عبد الغفور، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار الملايين، بيروت، ط١، ١٣٧٦ هـ ، ص ٧٧.

تأكل التفاحة الولد إلى غير ذلك من المجالات التي نعرض عنها؛ لأنها خارج دائرة هذا البحث، للسياق حضور أيما حضور في مجال تفسير النصوص القانونية، ولهذا تسالم رجال القانون على أنه يجب أن تفهم الكلمات الواردة في النص القانوني، في ضوء المعنى الذي يعبر عنه سياق النص.

لقد عني العلماء بنظرية السياق كثيراً، حتى صارت عندهم الركن الرئيس في تحليل الخطاب، وفهم النص، حين أدركوا أهمية السياق في هذا المجال، ولو متأخراً، وفي هذا يقول براون ويول: "إن الفكرة القائلة بإمكان تحليل سلسلة لغوية (جملة (مثلاً) تحليلاً كاملاً بدون مراعاة السياق قد أصبحت في السنين الأخيرة محل شك" [١]

إذا كان بروز هذا الاهتمام متأخراً عند غيرنا – كما يفهم من العبارة السابقة – فإن عناية علمائنا بالسياق كانت مصاحبة لنزول القرآن الكريم، وكان له استحضار مؤثر في فهم النص العربي بعامة. يحسن بنا قبل أن نفصل القول فيما نحن بصدده أن نحدد المقصود من السياق الذي سنعرض له؛ لأن هذه الكلمة استعملت حديثاً في عدة معاني مختلفة، يتكون السياق من السباق واللحاق، أما السباق : فهو من السبق، وهو التقدم، ويطلق على التقدم في السير، ونعني به موضع الشيء ما قبل النظر ؛ أما اللحاق : فهو من لحقته ولحقت به، أي أدركته، وهو كل شيء لحق شيئاً، أو ألحق به، ويطلق على ما بعد الشيء موضع النظر. إن السياق الذي نعني هو ذلك السياق الداخلي الذي يُعنى بالنظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم، أخذاً بعين الاعتبار ما قبلها وما بعدها في الجملة، وقد تتسع دائرته إذا دعت الحاجة، فيشمل الجمل السابقة واللاحقة، بل والقطعة كلها، والكتاب كله.

يمكن في ضوء ما تقدم أن نتفهم دور السياق القرآني في الكشف عن المعاني ونحن نستحضر أن ترتيب الآيات في السور القرآنية توقيفي وأن المناسبة في الأصل قائمة بين هذه الآيات، وهذا يحمل على الاطمئنان إلى النتائج التي تسفر عنها مراعاة السياق في نظم معجز تكلم به الحكيم الخبير ، ولا غرو من ذلك بعد أن ظهرت الآثار الإيجابية لمراعاة السياق في تحليل الخطاب الصادر عن البشر كما قال أولمان: "إن نظرية السياق إذا طبقت

[١] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، م.س، ص ٧٩.

بحكمة؛ تمثل الحجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة بهذا الشأن". [١]

- **ثالثاً : أسباب النزول:** أسباب النزول مصطلح من مصطلحات علوم القرآن والدراسات القرآنية، ويعني السبب الذي من أجله نزلت الآية لتتحدث عنه ولتعرّفه وتبين حكمه، فإن آيات القرآن الكريم نزلت في ثلاثة وعشرين عاماً، وكان نزولها على قسمين : [٢]

١. قسم نزل ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة

٢. قسم نزل مرتبط بسبب، كالحوادث والوقائع التي حدثت في محيط الدعوة، أو بسبب سؤال من بعض الأفراد، كما في قوله تعالى قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ[٣]؛ فبسبب نزولها كما ورد في أصول الكافي بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله الله قال: " إن اليهود سألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : أنسب لنا ربك ثلاثاً لا يحييهم، ثم نزلت قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [٤]إلى آخرها ". وكقوله تعالى وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاء الله [٥]، وسبب نزولها كما أخرج الطبرسي في الرواية، أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين فقال : أخبركم عنه غداً ، ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه أياماً حتى شقّ عليه، فأنزل الله هذه الآية يأمره بالاستثناء بمشيئة الله تعالى.

وكقوله تعالى قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ[٦] ، وسبب نزولها كما يذكر الواحدي النيسابوري ، أنها نزلت في خويلة بنت ثميلة عندما ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت. فأسباب النزول عبارة

---

[١] الكجراتي جمال الدين محمد بن طاهر بن علي الصديقي، مجمع بحار الانوار في غرائب التنزيل ولطائف الاخبار، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ٣ ، ١٣٨٧هـ ، ٥/٧٩

[٢] علوم القرآن مصادر التفسير عند الشيعة، م.س، ص٣٧.

[٣] سورة الاخلاص

[٤] الإخلاص: ١

[٥] الكهف : ٢٣

[٦] المجادلة : ١

توحي لنا بأن للنزول أسباب، وكما تبين لنا سابقاً أن الأسباب هي ليست دواعي لنزول القرآن وإنما هي ظروف موضوعية زمنية عاصرت نزول الوحي، لذلك تقتضي التعديل والتصحيح لهذه العبارة المنتشرة بين العلماء والمفسرين، وإن تسمى بـ (عصر النزول)، لأن عبارة (عصر النزول توحي إلى معنى الظروف التي عاصرت نزول النص القرآني. إن علم أسباب النزول من العلوم التي تعتمد النقل وليس العقل، بمعنى أن الطريق المتبع لمعرفة سبب النزول هو النقل الصحيح عن الصحابة الذين عاصروا التنزيل، وشاهدوا الأحداث والوقائع، ولا مجال للرأي والاجتهاد فيه، إذ هو من القول في القرآن بغير علم، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، ويحذر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك بما أخرجة الواحدي بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): " اتقوا الحديث إلا ما علمتم، فإنه من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن كذب على القرآن من غير علم، فليتبوأ مقعده من النار". [1]

ولمعرفة أسباب النزول مزايا جمة وفوائد كثيرة ؛إذ تكمن الفائدة الأساسية في إدراك الحكمة الكامنة وراء الحكم. فمعرفة الغاية الإلهية من وراء الأمر تُشكل حافزًا قويًا للمؤمنين، وتشجعهم على الالتزام بأحكام الله، مما يعزز إيمانهم والتزامهم الروحي. أما بالنسبة لغير المؤمنين، فإن فهم منطق هذه الأحكام قد يُمهد لهم طريقًا نحو الإيمان، إذ يُبين أن هذه القوانين لم تُسنّ عبثًا، بل وُضعت لضمان رفاهية البشرية ومصالحها العليا. [2]

الخاتمة

١. يتضح من دراسة مبادئ علم التفسير ومناهج المفسرين أن التفسير الناجح للقرآن الكريم لا يكون إلا عبر اتباع منهج علمي دقيق، يراعي اللغة العربية وأصول الشريعة، ويستند إلى قواعد واضحة، مع تجنب الاجتهاد الفردي العشوائي.

٢. التفسير لا يمكن أن يكون منعزلاً عن العلوم الأخرى كاللغة، النحو، الصرف، البلاغة، القراءات، وأصول الدين والفقه. فارتباط المفسر بهذه العلوم يعزز دقة فهمه للنصوص، ويجنب التأويل الخاطئ.

---

[1] النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: زكريا عميرات، ط ١ ، ١٤١٦هـ ، ص ٧٦

[2] م.ن ، ص٧٨٦

٣. القدرة على فهم القرآن واستنباط أحكامه تتوقف على عدة مؤهلات أساسية: معرفة اللغة العربية، دراية بالعلوم الشرعية، اطلاع على أسباب النزول، وحسن فهم المقاصد العامة للآيات. غياب أي من هذه المؤهلات يؤدي إلى احتمال الخطأ في التفسير.
٤. مناهج مثل تفسير القرآن بالقرآن والتفسير البياني أثبتت فعاليتها في توضيح المعاني وتفسير الآيات بدقة، حيث يعتمد كل منهج على أسس واضحة ومتسقة تساعد الباحث على فهم النص القرآني ضمن سياقه الكامل، بما يتوافق مع مقاصد الشريعة.
٥. يخلص البحث إلى أن التفسير ليس مجرد شرح لفظي، بل هو أداة لفهم المقاصد الإلهية، ورفع الحرج عن الإنسان في التطبيق العملي للأحكام، وتحصيل السعادة الدنيوية والأخروية من خلال التمسك بنهج الله ورسوله.

التوصيات:

١. تشجيع الدارسين على الالتزام بالمنهجيات العلمية في دراسة القرآن، مع توفير مقررات تدريبية تركز على التفسير بالقرآن والتفسير البياني، وربطها بالعلوم الشرعية واللغة العربية.
٢. التأكيد على ضرورة اكتساب المفسر للمعرفة اللغوية، والفقهية، والعقدية، مع القدرة على استيعاب أسباب النزول وعلوم القرآن الأخرى، لضمان تفسير صحيح ومتسق مع النص القرآني.
٣. تشجيع استخدام مصادر مختلفة من التفاسير، عبر دراسة تراث المفسرين من الصحابة والتابعين وصولاً إلى المفسرين المعاصرين، لتقديم فهم متكامل للآيات.
٤. حث الباحثين على تطبيق المناهج التفسيرية على نصوص القرآن الكريم عملياً، من خلال تحليل الآيات الموضوعية، وبيان علاقاتها، واستخدام الأدوات التحليلية لفهم المعنى العام والخاص.
٥. نشر الثقافة القرآنية الصحيحة بين الطلاب والباحثين، لإدراك أهمية التفسير الدقيق في فهم النصوص، وتجنب التفسيرات الجزئية أو المبتورة التي قد تؤدي إلى ضلال في الفهم أو التطبيق

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ، ص ٨٣٨.

٢. القرآن الكريم: المائدة: ٤٨.

٣. لسان العرب، م.ن، ص ٨/٣٨٣.

٤. بدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٣، ١٩٧٧، ص ٦٣.

٥. حميدة، إمام مختار، أسس بناء وتنظيم المناهج، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠، ص ١٠٣.

٦. السامرائي، هاشم، المناهج أسسها وتطويرها ونظرياتها، دار الأمل، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠، ص ٥٤.

٧. يعقوب، أميل، كيف تكتب بحثا أو منهجية البحث، جروس برس، ط١، ١٩٨٦، ص ١٠٢.

٨. السامرائي، هاشم، المناهج أسسها وتطويرها ونظرياتها، م.س، ص ٦١.

٩. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية.

١٠. القرآن الكريم: الفرقان: ٣٣.

١١. تاصر، مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام علي، ١٤٢١ هـ، ط١، ص ١١/٢٥.

١٢. عماد علي عبد السميع، التيسير في أصول واتجاه التفسير، دار الرشاد، القاهرة، ١٤٠١ هـ، ص ٨٠.

١٣. حمودي، إمام الشافعي محمد وآخرون، دراسات حضارية في التاريخ الإسلامي، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، ب.ت، ص ٤٩٠.

١٤. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٦، ١/٦.

١٥. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠، ص ٣.
١٦. القرآن الكريم: النحل: ٤٤.
١٧. الخضيري، محمد بن عبد الله بن علي، تفسير التابعين، دار الوطن للنشر، رسالة دكتوراه، ٢٠١٤، ص ٢٩.
١٨. عاشور، محمد الفاضل، التفسير ورجاله، مجموع البحوث الإسلامية، الأزهر، ١٩٧٠، ص ٢٣٨.
١٩. الرومي، فهد بن عبد الرحمن، دراسات في علوم القرآن، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط٤، ١٤٢٦ هـ، ص ٨٥-٨٦.
٢٠. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤، ٤/٩٤.
٢١. عماد الدين أبي الفداء ابن كثير القرشي، تفسير ابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٨، ٤٠/٤٤٤.
٢٢. السيد حسين محمد الطبطبائي، تفسير الميزان، منشورات الاعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت، ١٩٩٧، ١/١٤-١٥.
٢٣. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٩٨٧، الخطبة ١٩٩.
٢٤. العاملي، محمد ابن الحسن، الوسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الباب ٥، الحديث ٢.
٢٥. السبحاني، العلامة الفقيه جعفر، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، مؤسسة الإمام الصادق، قم، ب.ت، ١/١٤٣.
٢٦. معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، ٢/٢٢-٢٥.
٢٧. السامرائي، فاضل صالح، على طريق التفسير البياني، ط النشر العلمي، جامعة الشارقة، ١٤٢٣ هـ، ١/٧.

٢٨. البيومي، محمد رجب، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، ط مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١ هـ، ص ١٥.
٢٩. الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن: مصادر التفسير عند الشيعة، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ١٤١٧ هـ، ص ٢٤٢.
٣٠. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، درج الدرر في تفسير الآي والسور، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٩، ص ١٣١.
٣١. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، ط٣.
٣٢. عطار، أحمد عبد الغفور، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار الملايين، بيروت، ط١، ١٣٧٦ هـ، ص ٧٧–٧٩.
٣٣. الكجراتي، جمال الدين محمد بن طاهر بن علي الصديقي، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٣، ١٣٨٧ هـ، ٥/٧٩.
٣٤. القرآن الكريم: الإخلاص: ١؛ الكهف: ٢٣؛ المجادلة: ١.
٣٥. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: زكريا عميرات، ط١، ١٤١٦ هـ، ص ٧٦

Bibliography

- **The Holy Quran**

1. **Ibn Manzur, Muhammad bin Makram.** *Lisan al-Arab* (The Arab Tongue). Beirut: Dar Sadir, 3rd ed., 1414 AH, p. 838.
2. **The Holy Quran:** Al-Ma'idah: 48.
3. **Ibn Manzur.** *Lisan al-Arab*. op. cit., vol. 8, p. 383.
4. **Badawi, Abd al-Rahman.** *Manahij al-Bahth al-Ilmi* (Scientific Research Methodologies). Kuwait: Wikalat al-Matbu'at, 3rd ed., 1977, p. 63.
5. **Hamida, Imam Mukhtar.** *Usus Bina' wa Tanzim al-Manahij* (Foundations of Curriculum Construction and Organization). Zahraa al-Sharq Library, 1st ed., 2000, p. 103.

6. **Al-Samarrai, Hashim.** *Al-Manahij: Ususuha wa Tatwiruha wa Nazariyyatuha* (Curricula: Foundations, Development, and Theories). Dar al-Amal, 2nd ed., 2000, p. 54.
7. **Yaqub, Emile.** *Kayfa Taktub Bahthan aw Manhajiyyat al-Bahth* (How to Write a Research Paper or Research Methodology). Gross Press, 1st ed., 1986, p. 102.
8. **Al-Samarrai, Hashim.** *Al-Manahij: Ususuha wa Tatwiruha wa Nazariyyatuha*. op. cit., p. 61.
9. **Al-Zarkashi, Badr al-Din.** *Al-Burhan fi Ulum al-Quran* (The Proof in Quranic Sciences). Edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. Dar Ihya al-Kotob al-Arabiyah.
10. **The Holy Quran:** Al-Furqan: 33.
11. **Nasir, Makarim al-Shirazi.** *Al-Amthal fi Tafsir Kitab Allah al-Munzal* (The Ideal in Exegesis of the Revealed Book of Allah). Imam Ali School, 1421 AH, 1st ed., vol. 11, p. 25.
12. **Abd al-Sami', Emad Ali.** *Al-Taysir fi Usul wa Ittijah al-Tafsir* (Facilitation in the Principles and Trends of Exegesis). Cairo: Dar al-Rashad, 1401 AH, p. 80.
13. **Hamoudi, Imam al-Shafi'i Muhammad et al.** *Dirasat Hadariya fi al-Tarikh al-Islami* (Civilizational Studies in Islamic History). Alexandria: Dar al-Ta'lim al-Jamai, n.d., p. 490.
14. **Al-Dhahabi, Muhammad Husayn.** *Al-Tafsir wa al-Mufassirun* (Exegesis and Exegetes). Cairo: Wahba Library, 1976, vol. 1, p. 6.
15. **Al-Khalidi, Salah Abd al-Fattah.** *Ta'rif al-Darisin bi Manahij al-Mufassirin* (Introducing Students to the Methodologies of Exegetes). Damascus: Dar al-Qalam, 3rd ed., 2005, p. 3.
16. **The Holy Quran:** Al-Nahl: 44.
17. **Al-Khudairi, Muhammad bin Abdullah.** *Tafsir al-Tabi'in* (Exegesis of the Successors). PhD Thesis, Dar al-Watan for Publishing, 2014, p. 29.
18. **Ashur, Muhammad al-Fadhil.** *Al-Tafsir wa Rijaluhu* (Exegesis and Its Scholars). Al-Azhar: Islamic Research Complex, 1970, p. 238.
19. **Al-Rumi, Fahd bin Abd al-Rahman.** *Dirasat fi Ulum al-Quran* (Studies in Quranic Sciences). Riyadh: King Fahd National Library, 4th ed., 1426 AH, pp. 85–86.

20. **Al-Suyuti, Jalal al-Din.** *Al-Itqan fi Ulum al-Quran* (Mastery in Quranic Sciences). Edited by Muhammad Abu al-Fadl. Egyptian General Book Authority, 1974, vol. 4, p. 94.
21. **Ibn Kathir, Abu al-Fida.** *Tafsir Ibn Kathir*. Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyah, 2018, vol. 40, p. 444.
22. **Al-Tabataba'i, Sayyid Husayn Muhammad.** *Tafsir al-Mizan*. Beirut: Al-A'lami Publications, 1st ed., 1997, vol. 1, pp. 14–15.
23. **Al-Sharif al-Radi, Muhammad bin al-Husayn.** *Nahj al-Balagha* (The Path of Eloquence). Islamic Publishing Institute, 1987, Sermon 199.
24. **Al-Amili, Muhammad bin al-Hasan.** *Wasa'il al-Shia* (Means of the Shia). Aal al-Bayt Institute for Heritage Revival, Chapter 5, Hadith 2.
25. **Al-Subhani, Ja'far.** *Al-Manahij al-Tafsiriyya fi Ulum al-Quran* (Interpretative Methodologies in Quranic Sciences). Qom: Imam al-Sadiq Foundation, n.d., vol. 1, p. 143.
26. **Ma'rifah, Muhammad Hadi.** *Al-Tafsir wa al-Mufassirun fi Thawbih al-Qashib* (Exegesis and Exegetes in Their New Attire). Razavi University of Islamic Sciences, vol. 2, pp. 22–25.
27. **Al-Samarrai, Fadhel Salih.** *Ala Tariq al-Tafsir al-Bayani* (On the Path of Rhetorical Exegesis). University of Sharjah: Scientific Publishing, 1423 AH, vol. 1, p. 7.
28. **Al-Bayumi, Muhammad Rajab.** *Khutuwat al-Tafsir al-Bayani lil-Quran al-Karim* (Steps of Rhetorical Exegesis of the Holy Quran). Cairo: Islamic Research Complex, 1391 AH, p. 15.
29. **Al-Hakim, Muhammad Baqir.** *Ulum al-Quran: Masadir al-Tafsir inda al-Shia* (Quranic Sciences: Sources of Exegesis Among the Shia). Qom: Islamic Thought Assembly, 1417 AH, p. 242.
30. **Al-Jurjani, Abd al-Qahir bin Abd al-Rahman.** *Daraj al-Durar fi Tafsir al-Ay wa al-Suwar* (The Degrees of Pearls in the Exegesis of Verses and Surahs). Amman: Dar al-Fikr, 2009, p. 131.
31. **Al-Zarqani, Muhammad Abd al-Adhim.** *Manahil al-Irfan fi Ulum al-Quran* (Springs of Knowledge in Quranic Sciences). Isa al-Babi al-Halabi Press, 3rd ed.
32. **Attar, Ahmad Abd al-Ghafur.** *Al-Sihah: Taj al-Lughah wa Sihah al-Arabiyyah*. Beirut: Dar al-Malayin, 1st ed., 1376 AH, pp. 77–79.

33. **Al-Gujarati, Jamal al-Din Muhammad.** *Majma' Bihar al-Anwar* (The Collection of Seas of Light). Osmania University Press, 3rd ed., 1387 AH, vol. 5, p. 79.
34. **The Holy Quran:** Al-Ikhlas: 1; Al-Kahf: 23; Al-Mujadila: 1.
35. **Al-Naysaburi, Nizam al-Din.** *Ghara'ib al-Quran wa Ragha'ib al-Furqan*. Edited by Zakaria Umayrat. Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyah, 1st ed., 1416 AH, p. 76.